انعكاسات الوصم الاجتماعي على سلوكات الأطفال غير الشرعيين

Reflections of Social Stigma on the behavior of Illegitimate Court Judgments

دريدش حلمي: أستاذة محاضرة"أ"

بوزار يوسف: طالب دكتوراه

جامعة البليدة 2

تاريخ إرسال المقال: 2018 /11/24 **تاريخ قبول المقال:** 08/08/2019

ملخص

تعد ظاهرة الأطفال غير الشرعيين من الظواهر الاجتماعية المتفشية في المجتمع الجزائري،وهذا ما تثبته الإحصائيات الرسمية وغير الرسمية حول هذه الظاهرة،وبالنظر إلى طبيعة وخصوصية المجتمع الجزائري، فإن بعض أفراده يرفضون التعامل مع هذه الفئة،وينظرون إليهم نظرة استهجان واحتقار فيقومون بوصمهم بشتى أنواع النعوت مثل " وليد الحرام " ، " فرخ "...، فالطفل غير الشرعي يتحمل أعباء وتبعات ذنب لم يرتكبه بل ارتكبه أبواه البيولوجيين،وأمام هذا الرفض من قبل أفراد المجتمع فمن المحتمل أن هؤلاء الأطفال (غير الشرعيين) ستكون لهم ردّة فعل تجاه ذلك،فنتيجة لهذا التهميش والإقصاء،قد يدفع ذلك البعض منهم إلى القيام بسلوكيات منحرفة ، إذا توفرت لهم مجموعة من الظروف، والعوامل المحفزة على ذلك، على غرار الوصم الاجتماعي،هذا الأخير له أثر مباشر على نفسيتهم، وينعكس سلبا على سلوكياتهم.

من خلال هذه الورقة البحثية سوف نعرض انعكاسات عملية الوصم الاجتماعي على سلوكيات الأطفال غير الشرعيين.

الكلمات المفتاحية: الأطفال غير الشرعيين، الوصم الاجتماعي، الانحراف، الحدث المنحرف، رد الفعل.

Abstract

The phenomenon of illegitimate children is one of the social phenomena prevalent in Algerian society.

This is confirmed by official and unofficial statistics on this phenomenon, and in according to the nature and specificity of Algerian society, some of Its members refuse to deal with this group, and they view them as disgruntled and despised, and they stigmatize them,

المؤلف المرسل: حلمي دريدش، ايميل: hilmi.drideche@hotmail.fr

as they call it "Walid Al-Haram".

"Chick"… Illegitimate people bear the burdens and consequences of guilt that they did not commit, but their biological fathers.

In the face of this rejection by members of the community, it is possible that these illegitimate children will have a reaction to that.

As a result of this marginalization, some of them may lead to deviant behavior if they have a set ofcircumstances and the incentive to do so.

Like social stigma, where they are stigmatized by the ugliest of the word.

This has an impact on the mselves and reflects negatively on their behavior.

For this reason, our study came to learn about the impact of social stigmatization on the behavior of illegitimate children.

key words: illegitimate children, Social stigma, deviance, deviant event, reaction.

1- مقدمة

نتيجة للتغير الاجتماعي الذي يشهده المجتمع الجزائري، تعرف الأسرة الجزائرية تغيرات اجتماعية والثقافية واقتصادية، دفعتها للتنازل في كثير من الأحيان عن دورها في عملية تنشئة أفرادها لمؤسسات اجتماعية أخرى.

إن تراجع دور الأسرة في تنشئة الأبناء صاحبه انخفاض في سلم القيم والمعايير لدى أفرادها، مما ساهم في تفشي بعض الظواهر الاجتماعية التي كانت في وقت قريب نادرة الوقوع في مجتمعنا، ومن بينها العلاقات الجنسية غير الشرعية، التي أضحت في تزايد مستمر نتيجة لعدة عوامل لعل أهمها التأثر بالثقافة الغربية التي تدعوا إلى مثل هذه العلاقات، تحت مسميات التمدن والتحضر.

كثيرا ما أطلعتنا مختلف وسائل الإعلام عن حالات الإجهاض (التي إتخذت منحا تصاعديا) وتصاعد معها عدد الأطفال غير الشرعيين الذين يولدون سنويا في الجزائر، أين قدرت وزارة التضامن الوطني والأسرة وقضايا المرأة (في تصريح لوزيرة القطاع لوسائل الإعلام المكتوبة) عددهم بحوالي 3200 طفل غير شرعي يولد سنويا في بلادنا.

في الواقع هذا الرقم لا يعكس الحجم الحقيقي للظاهرة، فهذه الإحصائيات(الرسمية) تحصي فقط الأطفال غير الشرعيين الذين ولدتهم أمهاتهم داخل المستشفيات، وتم تسجيلهم في سجلات الحالة المدنية، أين يقابله العديد من الحالات تحدث خارج المستشفيات، هروبا من تحمل المسؤولية ووصم الفضيحة، ليتخلص من المولود إما بقتله أو بتركه في الشارع أو تقديمه لأسرة لرعايته، فقليل من الأمهات العازبات يقررن الاحتفاظ بمواليدهن وتربيتهم معهن.

إذن فالأطفال غير الشرعيين الذين تكتب لهم الحياة، سيعيشون في جو أسري مغاير تماما للجو الأسري الذي يعيش فيه الأطفال العاديون في أسرهم الطبيعية، كما

أنهم يتعرضون للكثير من المضيقات من قبل بعض أفراد المجتمع، حيث ينظر إليهم نظرة ازدراء واحتقار، ويتم نعتهم بأقبح الأوصاف، ومما لا شك فيه أن لذلك تأثيرا على الصعيد النفسي والاجتماعي لأفراد هذه الفئة، وردة فعل اتجاه المجتمع وأفراده.

سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية دراسة تأثير وصم فئة الأطفال غير الشرعيين على سلوكهم الاجتماعي وعلى انحرافهم؟

وجاءت فرضية الدراسة كالأتي:

- يساهم الوصم الاجتماعي للأطفال غير الشرعيين في قيامهم بسلوكيات منحرفة.

2- تحديد مفاهيم الدراسة

2.1- الأطفال غير الشرعيين

عرفه السيد عبد الحميد عطية أنه:" الطفل الذي تم إنجابه خارج العلاقات الزوجية الشرعية، أي خارج إطار الزواج الشرعي، وقد يكون مجهول الوالدين أو مجهول الأب، ومعلوم الأم فيحمل اسم أمه، وتوجه هذه الفئة من طرف المستشفيات إلى المصالح المتخصصة لتربيتهم والإشراف عليهم، وقد تتكفل بهم مصالح الشؤون الاجتماعية، وتضم هذه الفئة الأطفال الذين عثر عليهم في الشارع، سواء كانوا رضعا أو أطفال صغارا لا يعرف نسبهم "[1].

- التعريف الإجرائي

هو الطفل الذي يولد نتيجة علاقة جنسية غير شرعية بين ذكر وأنثى، أي خارج إطار الزواج ويعتبر طفلا غير شرعي سواء اعترفا بأبوتهم له، أو لم يعترفا.

وفي مجتمعنا الجزائري تطلق على هذه الفئة عدة نعوت مثل"ابن الحرام"، "ملقط"، "فرخ".

2.2- تعريف الانحراف

يعرف الانحراف من الناحية الاجتماعية بأنه:" ذلك السلوك غير المتوافق مع السلوك الاجتماعي السوي"[2].

- التعريف الإجرائي

هو السلوك الذي يقوم به الفرد، ويكون خارج على ما اتفقت عليه الجماعة من قيم ومعايير ونقصد به كل سلوك يتضارب مع المعايير المتفق عليها والمنظمة للحياة الاجتماعية.

كما أن الانحراف ظاهرة مرتبطة بعامل الخصوصية، فتحديدها يختلف من مجتمع لآخر.

2.3- تعريف الحدث المنحرف

كما يعرف الحدث المنحرف على أنه الصغير طوال مراحل عمره، التي تبدأ

منذ الولادة وحتى يتم له النضج النفسي والاجتماعي، وتتكامل عناصر الرشد، ويقوم خلال هذه الفترة من عمره بسلوكيات خارجة عن المعايير التي ترتكز عليها جماعته، ومن هذا المنظور هو ضحية ظروف سيئة اجتماعية كانت أو اقتصادية أو صحية أو ثقافية "[3].

-التعريف الإجرائي

هو الفرد الذي لم يبلغ سن الرشد، ويقوم بسلوكيات مضادة للمجتمع، خارجة عن معاييره وقيمه، وعليه فالحدث المنحرف، هو القاصر الذي أبتعد عن المعايير، والضوابط المتفق عليها داخل بيئة اجتماعية وثقافية معينة.

2.4-تعريف الوصم الاجتماعي

هو صورة ذهنية سلبية تلصق بفرد معين، كتعبير عن الاستياء والاستهجان لهذا الفرد نتيجة اقترافه سلوكا غير سوي، يتعارض مع القيم والمبادئ السارية في المجتمع[4].

كما يعرف الوصم بأنّه:" تلك العملية التي تنسب الأخطاء والآثام التي تدل على الانحطاط الخلقي إلى أشخاص في المجتمع، فتصفهم بصفات بغيضة وسمات تجلب لهم العار، وتثير حولهم الشائعات، وتتمثل هذه الصفات بخصائص جسمية أو عقلية أو نفسية أو اجتماعية "[5].

كما يقصد به " إلصاق صفة أو تهمة سلبية، كصفة جانح أو مجرم أو سارق بالشخص مما يختلف شدته وأثره واستمراره، بناءا على الجهة التي تقوم بالوصم، وعلى نوع الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الموصوم[6].

-التعريف الإجرائي

هي النعوت والأسماء التي يطلقها بعض أفراد المجتمع على فئة الأطفال غير الشرعيين مثل "أولاد الحرام"، "أولاد الزنا"، "فرخ"، وذلك من أجل تحقيرهم والحط من قيمتهم.

3- الوصم الاجتماعي وعلاقته بانحراف الأطفال غير الشرعيين

تشير "الوصمة إلى العملية التي تنسب الأخطاء والآثام الدالة على الانحطاط الخلقي إلى أشخاص في المجتمع، فتصمهم بصفات بغيضة، أو سمات تجلب لهم العار، أو تثير حولهم الشائعات، ولذلك تشير هذه العملية إلى أكثر من مجرد الفعل الرسمي من جانب المجتمع اتجاه العضو الذي أساء التصرف، أو كشف عن أي اختلاف ملحوظ عن بقية الأعضاء، ويتمثل الإسهام المباشر الذي تم في نظرية الوصم فيما أثاره الباحث الأمريكي" جوفمان.E.Goffman

" في كتابه " الوصمة.Stigma" سنة 1963 حيث يشير إلى الانحراف باعتباره

طريقة في تحديد موقف معين، أو أسلوبا للحكم على موقف محدد[7].

كما لوحظ وجود هذا التوجه الفكري عند "جورج هربرت ميد. **George Herbert Mea**" الذي حدد معالم نظرية الوصمة الجنائية، ذلك من خلال التركيز على حجم العقوبات المفروضة على مخالفي القانون ونوعها، فذهب إلى أن العقوبات الصارمة المرتبطة بالمتابعة القضائية مسألة تتعارض مع إعادة تكييف المنحرف، كما أن الإجراءات العدوانية التي تتخذ نحو مخالفي القانون تؤدي إلى تدمير عملية الاتصال بينهم وبين المجتمع، مما يخلق روح العداوة عند المنحرف، وينطوي توجيه "**ميد**" هذا على اعتراف جزئي "بالانحراف الثانوي " يظهر في تأكيده المستمر على أن نظام العقوبات الطاغية والصارمة هو نظام فاشل تماما، وأن فشله هذا لا يقتصر على عجزه على ردع الانحراف فقط، وإنما يمتد إلى مظهر آخر، وهو أن يعمل باستمرار على الاحتفاظ "بطبقة إجرامية "، وذلك لأن المبالغة في تطبيق الجزاءات، وعدم الاتساق في تنفيذها، يثير الحقد والعداوة عند المجرم.

كما تؤكد هذه الفكرة على أن الاتجاه العدائي من جانب المجتمع يؤدي إلى مزيد من الجرائم، وإلى عدم الاتساق في فرض العقوبات، هو أهم ما يعرض الفرد " لمسالك إجرامية " أو احتراف الإجرام، وخاصة من خلال إحساسهم المتصاعد بالظلم، إذ أنه مهما تكون فداحة الذنب الذي يرتكبه شخص ما، فربما تكون هناك درجات من الإجرام لم يصل إليها بعد، ولكن إذا شعر بأن المجتمع يتصرف نحوه بطريقة طاغية وعنيفة، فإن النتيجة الطبيعية لهذا الإحساس هي اغترابه عن المجتمع، والإنظمام إلى زملائه من المجرمين، باعتبارهم الأشخاص الذين يعاملونه باحترام ورفق[8].

نجد أن من أهم رواد نظرية الوصم العالم " أدوين ليمرت .Lemert Edwin" الذي درس نظريته من خلال كتابه الشهير " الباثولوجيا الاجتماعية" سنة 1951، والذي ذكر فيه الفرق بين الانحراف الأولي والانحراف الثانوي، حيث يرى أن علم الجريمة الوضعي وضع العربة قبل الحصان، من خلال الافتراض القائم على أن السلوك المنحرف يأتي أولا، ثم يثير ذلك استجابات الضبط الإجتماعي[9].

ويشير مصطلح الانحراف الأولي إلى الأفعال والتصرفات التي تنتهك المعايير، وتؤدي نتيجة لذلك إلى الوصم، ويظهر ذلك في صورة سلوك مرتبط بسبب أو أسباب أخرى مثل انتماء الشخص إلى جماعة أقلية، ذات قيم ومعايير تخالف القيم والمعايير التي تميزها وتؤديها الجماعة المسيطرة، بينما الانحراف الثانوي فهو يلعب دورا مهما

في إلصاق صفة الوصم بالفرد، ويشير إلى السلوك المنحرف الذي تم ارتكابه نتيجة لمفهوم الفرد لذاته، ومن خلال نظرة الآخرين له، والتي تتسم بعدم القبول الاجتماعي، والتي نتجت وتولدت عن تلك النظرة المجتمعية للفرد باعتباره منحرفا، وما ينتج عن معاملته لهذا الفرد من قبل أفراد المجتمع[10].

تجدر الإشارة إلى أن " ليمرت" قدم نظريته ليبين من خلالها أنه كما يؤدي ضعف الضبط الاجتماعي إلى انتشار الجريمة واستفحال معدلاتها بالمجتمع، كذلك يؤدي الضبط المفرط فيه إلى اتجاه البعض نحو ارتكاب السلوك الإجرامي، وفي ذلك يقول " **ليمرت**" : "إننا ألفنا أن الانحراف يؤدي إلى أعمال الضبط الاجتماعي، ولكن الأكثر أهمية هو أن وسائل الضبط الاجتماعي، قد تكون بدورها مسؤولة عن الانحراف"[11].

أما فيما يتعلق بآراء العالم "هوارد بيكر.Howard Becker" فقد تبلورت نظرية الوصم عنده واتضحت صورتها النهائية من خلال كتابه "الهامشيون. The Outsiders"سنة 1963، والذي يرى فيه أن عملية وصم الفرد بالانحراف لا تحتاج إلى أكثر من قيام الفرد بارتكاب جرم واحد فقط، ليتم وصمه، فالفرد الذي قبض عليه في جريمة السرقة عادة ما ينظر إليه من قبل أفراد المجتمع على أنه سوف يقوم بنفس الفعل مرة أخرى، ويدعم هذا ما تقوم به الأجهزة التنفيذية ممثلة في الشرطة، حيث بعد وقوع جرم ما، في مكان ما، تقوم بالتحقيق مع من سبق لهم ارتكاب مثل هذه الجرم، وبذلك ينظر إلى مثل هؤلاء الأفراد أنهم أشخاص لا يحترمون القانون، ويعتبرون منحرفين إلى الأبد، والتعامل معهم يكون على هذا الأساس، كما أن تجربة القبض على الفرد ونعته عمليا بالانحراف تعتبر أهم خطوة عملية في بناء نمط ثابت من السلوك الانحرافي عنده[12].

إذن فالوصم هو إلحاق النعوت والصفات الرذيلة والدونية بالأفراد، وهذا نتيجة لما فعلوه من سلوكيات منحرفة، فمثلا بدلا من أن ينادى فلان باسمه الحقيقي، ينادى يا "لص" كونه ارتكب هذه الجريمة أو حاول القيام بها، فهنا تلصق الكثير من النعوت وأسماء الوصم، خاصة في مجتمعاتنا العربية، إذ يتفنن الناس في استعمالها، كما أن البيئة الاجتماعية عندنا لا ترحم فهي كثيرا ما تساهم في تعميق السلوك الانحرافي عند الأفراد، خاصة الضعفاء الذين لا حول ولا قوة لهم، ونذكر بالخصوص الأطفال غير الشرعيين، إذ ينادونهم في مجتمعنا الجزائري " إبن الحرام "، "ملقط "، "فرخ" وغيرها من الأسماء القبيحة، فهذا يزيدهم سخطا وعدوانية وانتقاما من المجتمع ومن أنفسهم[13].

مما سبق نستنتج أن الشخص الموصوم لا يوصم إلا بعد قيامه بسلوك خارج عن قيم ومعايير المجتمع، أو خارج عن القانون الوضعي الذي يحكمه، وبناء عليه يتم وصم

هذا الشخص، ولكن في حالة الأطفال غير الشرعيين فإن الوصم يكون أكثر ظلما وقسوة، لأنه سببه هو الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها هؤلاء الأطفال، فيتم وصمهم من قبل بعض أفراد المجتمع بأقبح التسميات والصفات على ذنب لم يقترفوه، وهو العلاقة الجنسية غير الشرعية التي قام بها آباؤهم ليجدوا أنفسهم يتحملون هذا الخطأ الذي لا دخل لهم فيه، لكنهم يكونون أكثر المتضررين من تبعاته، فنجد أفراد المجتمع ينعتونه بصفات مثل "أولاد الحرام "، " أولاد السبيطار"، " أولاد الزنا" وغيرها من الألفاظ القبيحة التي لا يمكن ذكرها، فإضافة إلى المعانات والحرمان الذي تعيشه هذه الفئة في المجتمع، من عدم وجود أسرة ترعاهم وتقدم لهم تنشئة اجتماعية سوية، ومنزل يحفظ كرامتهم ونسب معلوم يعنيهم عن السؤال الذي يؤرقهم دائما، من أكون؟ من هما والدي الحقيقيين؟ أين هم؟ لماذا تركاني؟ لماذا أنا بالذات من دون بقية الأطفال؟ ما هو مستقبلي؟ فإضافة إلى هذه المعانات حول البحث عن الهوية المفقودة وتوكيد الذات، يزيد بعض أفراد المجتمع من معاناتهم النفسية من خلال التسميات القبيحة التي يطلقونها عليهم، لتذكيرهم بماضيهم والحط من قيمتهم فعوض أن يتفهموا وضعهم، ويحاولوا مساعدتهم على تحقيق الاندماج والتكيف مع بقية أفراد المجتمع نجدهم يزيدون من معاناتهم ويجعلونهم أكثر عدوانية، وحقدا على أفراد المجتمع الذين يحملونهم ذنبا لم يقترفوه.

أمام هذا الوضع لا تجد فئة كبيرة من الأطفال غير الشرعيين من مخرج سوى طريق الانحراف والجريمة كتعبير عن رفضهم لواقعهم الاجتماعي، والنظرة الدونية التي توجه إليهم، وأمام هذا الوضع يبحث الأطفال غير الشرعيين عن أفراد يتفهمونهم، ويقدمون لهم الدعم المعنوي والمادي، وفي الغالب يلجؤون إلى الجماعات المنحرفة التي تبحث عن أعضاء جدد تستغلهم في أعملها الإجرامية، ورغم ذلك قد يجدون فيها راحتهم وطمأنينتهم، لذلك يظهرون الولاء لأفراد جماعتهم، وتؤدي مخالطة رفاق منحرفين إلى القيام بأفعال منحرفة، مثل تعاطي المخدرات وترويجها، السرقة، الدعارة ... فبالنسبة لهم ليس هناك ما يخسرونه، فالمجتمع حسب رأيهم ظلمهم، وقام بتهميشهم، وإقصائهم من الحياة الاجتماعية، كما أن مستقبلهم مبهم، فلذلك يفضلون أن يعيشوا حياتهم كما يحلوا لهم، دون إعطاء أي اهتمام للآخرين وقيمهم وعاداتهم.

4- الدراسة الميدانية

1.4- المنهج المستخدم في الدراسة

الدراسة العلمية تفرض على الباحث اختيار منهج بحث خاص بدراسته يعتمد عليه من بداية بحثه إلى غاية نهايته، ولقد اعتمدنا في دراستنا على المنهاج التالية:

1.1.4- منهج دراسة حالة

لأن طبيعة الموضوع هي التي تحدد منهج الدراسة، اقتضى موضوع هذه الدراسة استخدام المنهج الذي يتجه إلى الدراسة المعمقة لحالة فردية واحدة، أو مجموعة من الحالات التي تنتمي إليها الحالة وذلك من أجل الوصول إلى معرفة دقيقة لتفاصيل ظروف هذه الحالة والعوامل المختلفة المتفاعلة في التأثير فيها[14].

لقد اعتمدنا على هذا المنهج نظرا لغياب قاعدة سبر كافية، ولهذا قمنا بدراسة الحالات الموجودة داخل مركز إعادة التربية للبنات ببن عاشور - البليدة - وذلك بالتركيز على كل حالة بمفردها وقد تم تطبيقه على 17 حالة من الأحداث المنحرفين، تم تحليل كل حالة على حدا ثم التركيب بينها للوصول في الأخير إلى مقارنتها عن طريق نتائجها، وبالتالي الوصول إلى نتيجة واضحة، لمعرفة انعكاسات عملية الوصم على سلوكياتهم، ومدى ساهم ذلك في إقبالهم على السلوكيات المنحرفة.

2.1.4- المنهج الوصفي التحليلي

اعتمدنا على هذا المنهج من خلال دراستنا الاستطلاعية والميدانية التي حددت لنا مختلف أبعاد وجوانب الموضوع المدروس، وعليه فقد كانت دراستنا وصفية تحليلية بإتباع هذا المنهج، الذي يعتمد على الطريقة الكمية والكيفية في معالجة المعطيات، "فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح لنا خصائصها، أما التعبير الكمي فيعطيها وصفا رقميا، ويوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى"[15].

2.4- التقنيات والأدوات المنهجية المستخدمة في الدراسة

اعتمدنا في هذه الدراسة على وسائل وأدوات منهجية مختلفة ساعدتنا في جمع معلومات حول عملية وصم الحالات المدروسة وتداعيت ذلك.

هذه الأدوات كانت كالتالي:

1.2.4. الملاحظة

لقد اعتمدنا دراستنا الميدانية بمركز إعادة التربية للبنات على الملاحظة المباشرة حيث مع مرور الوقت، وبتواجدي مع المبحوثات وكسب ثقتهم، وعدم التركيز فقط على طرح أسئلة حول موضوع الدراسة بل تبادل أطراف الحديث معهن حول مواضيع من اقتراحهن، جعلهن يتصرفن على طبيعتهن حين تواجدي داخل المركز، مما ساعدني على ملاحظة بعض التصرفات والسلوكيات التي يقمن بها داخله.

2.2.4- المقابلة

إن المقابلة تقنية بحث هامة تسمح باكتشاف أراء المبحوث وتصوراته في ظل تلك العلاقة التفاعلية معه حول موضوع البحث[16]، هذا وتختلف أنواع المقابلة من مقابلة مقننة وأخرى غير مقننة، وقد اعتمدنا في دراستنا على المقابلة المقننة، وذلك باستعمال دليل المقابلة الذي يعتبر أداة لجمع المعطيات، وفيه تكون أسئلة المقابلة محددة من قبل، وتوجه للمبحوث الأسئلة والعبارات بنفس الصياغة والترتيب[17]، وحاولنا قدر الإمكان أن تكون الأسئلة مفهومة ومبسطة تشرح للمبحوثات، حتى يتمكنوا من فهمها، ثم نقوم بتسجيل أقوالهن كما هي دون أن نتدخل في توجيههن، أو توجيه أجوبتهن، واستعملنا الهاتف النقال في عملية التسجيل في معظم الحالات، وفي حالات أخرى استخدما التدوين على الورق لرفض بعض المبحوثات عملية التسجيل.

قياس صدق وثبات أداة الدراسة

قبل الشروع في تحليل واستخلاص النتائج كان لابد من التأكد من مدى صدق وثبات العبارات التي تضمنتها أداة الدراسة حتى تكون نتائج الدراسة واقعية وذات مصداقية أكثر، فمن أجل تبيان الصدق الظاهري وصدق المحتوى لأداة الدراسة، تم عرضها على أساتذة ومختصين ممن لهم خبرة في بناء دليل المقابلات البحثية، قصد تحديد مدى وضع العبارات والأسئلة وسلامتها لغويا وقدرتها على تحقيق فرضيات الدراسة.

وبناء على ملاحظات المحكمين قمنا بتعديل بعض العبارات لتخرج في الصورة النهائية.

3.4- عينة الدراسة

اعتمدنا في دراستنا الميدانية على العينة العمدية، والتي يمكن أن نعرفها على أنها "اختيار كيفي من طرف الباحث للمستجوبين استنادا إلى أهداف بحثه، ولا يتم اختيار المبحوثين من خلال الجدول العشوائي أو القرعة"[18]، فوحدات البحث يختارها الباحث بشكل عمدي، فعند نزوله إلى ميدان البحث يختار المفردات التي يعتقد أنها تخدم بحثه، بحيث تتوفر فيها الخصائص والمميزات التي يكون حددها مسبقا، لذلك توجهنا إلى مركز إعادة التربية للبنات ببن عاشور ولاية البليدة، بحكم أن القاصرات الموجودات به دخلن إليه بسبب قيامهن بسلوكيات منحرفة، وأثناء فترة زيارتنا إلى المركز من أجل إجراء البحث الميداني تمكنا من دراسة 17 حالة تتوفر فيها شروط عينة بحثنا.

4.4- المجال الزمني للدراسة

بعد حصولنا على ترخيص من مديرية النشاط الاجتماعي لولاية البليدة " DAS " على إجرائنا للبحث على مستوى مركز إعادة التربية للبنات ببن عاشور بالبليدة، وبعد

إتمام الإجراءات الإدارية، تم ضبط موعد لنا للبداية في إجراء البحث الميداني والتي امتدت مدة شهر من 04 /2015/01 إلى غاية 2015/02/04 قمنا خلالها بمقابلة أفراد العينة داخل المركز.

5.4- المجال المكاني للدراسة

لقد تمت الدراسة الميدانية في مركز إعادة التربية للبنات ببن عاشور ولاية البليدة، حيث توفر فيه عدد مقبول وكافي من أفراد العينة لإجراء دراسة حالة عليهن، كما أنهن ينحدرن من مختلف ولايات الوطن، والبعض منهن كنا متواجدات في مراكز أخرى، وتم تحويلهن إلى هذا المركز، وقد صرحن لنا أن الظروف متشابهة تقريبا في كل المراكز.

الجدول 1: يوضح توزيع المبحوثات حسب تعرضهن للوصم .

تعرض للوصم	التكرار	النسبة المئوية
نعم	13	%76.47
لا	04	%23.53
المجموع	17	%100

المصدر: من إعداد الباحثين

نلاحظ من خلال الجدول أن أغلب المبحوثين تعرضن للوصم الاجتماعي وذلك بنسبة 76.47% في حين نجد أن 23.53 % من المبحوثين لم يتعرضن للوصم.

نستنتج من خلال هذا الجدول أن أغلب المبحوثات تعرضن للوصم الاجتماعي، وهذا ما كان له أثر بالغ على نفسيتهن، ودفع بالبعض منهن إلى القيام بسلوكيات منحرفة بسببه، حيث صرحت أغلب المبحوثات أن الوصم يشعرهن بالإحباط واحتقار الذات، وفي هذا الصدد تشير "**نظرية الإحباط**" أن العدوان من أشهر الاستجابات التي تثار في الموقف الإحباطي، ويشمل العدوان البدني اللفظي حيث يتجه العدوان غالبا نحو مصدر الإحباط، فعندما يوجه الفرد عدوانه إلى الموضوع الذي يدركه كمصدر لإحباطه، يحدث ذلك بهدف إزالة المصدر أو التغلب عليه أو كرد فعل انفعالي للضيق والتوتر المصاحب للإحباط[19].

إذن تتنوع ردة فعل المبحوثات على الوصم، فمنهن من تعبر عن رفضها لهذا الوصم، وما يترتب عنه من إحباط وغضب، بمواجهة الجهة التي قامت بوصمها، كأن تقوم بتعنيف وسب من وصمها، ومنهن من تكون ردة فعلها هي احتقارها لذاتها فتكون ردة فعلها إيذاء نفسها، ويظهر ذلك في محاولات الانتحار وكذلك تقطيع الجسد بأدوات حادة، ومنهن من يشكل لهن الوصم عقدة نفسية بحيث يجعلهن منعزلات ومنطويات عن التفاعل مع باقي أفراد المجتمع.

الجدول 2 : يوضح توزيع المبحوثات حسب طبيعة الأفراد الذين قاموا بوصمهن.

طبيعة الأفراد الواصمين	مظاهر الوصم	نماذج من التصريحات	التكرار	النسبة المئوية
الأبوين البديلين	نعوت ونظرة دونية	ح1 "كلما نداوس معاها تعايرني بـ"يما" وتقولي الفرخة يالملقطة ما نستحقكش تقعدي عندي يماك تهنات منك و أنا لصقتي في راسي" ح4 " كان يعايرني و يقولي يا الفرخة يا الخامجة ...." ح10" يضربني يقولي يالفرخة يالملقطة " ح13" تعايرني وتقولي أنا الي غلطت وربيتك وكانت ختي الكبيرة تقولي يالفرخة يالملقطة " ح14"ومرات كي نزعفوا يقولي يالفرخة يانتاع الزنق"	06	%46.15
من قبل الجيران	نعوت ونظرة دونية تجنب الحديث معها	ح2 "كامل الجيران يتعوذوا منا ...كي نكون راجعة للدار و نشوف هذيك الخزرة العيانة من عند الناس كنت قريب نموت من الحشمة ح7" كنا محروقين فالحومة... لبنات فالحومة يقولولي يالفرخة ...عايلة نتاع مقطعين ..." ح15"كي نروح نقرى يعايروني لبنات بيماكانت تعيضني عمري بزاف..	04	%33.77
من قبل الأقارب	نعوت ونظرة دونية	ح3" كانت تعايرني بـ "يما" وتقولي يا الفرخة يالملقطة، واش راح يصح منك تخرجي ليماك" ح5"قالي أخرجي من داري روحي يالملقطة ماتزيديش تجي لداري ولا تهدري مع ولادي"	03	%23.08
المجموع			*13	%100

*** نلاحظ أن الرقم (13) لا يمثل حالات الدراسة ذلك أن هناك (04) حالات لم يتعرضن للوصم.**

نلاحظ من خلال الجدول أن أعلى نسبة تمثلت في 46.15% من المبحوثات تعرضن للوصم الاجتماعي من قبل أحد الأبوين البديلين، تليها في المرتبة الثانية نسبة 33.77% من المبحوثات تعرضن للوصم من قبل الجيران، وتليها في المرتبة الثالثة نسبة 23.08% من المبحوثات تعرضن للوصم من قبل أحد أقارب الأسرة البديلة.

نستنتج من خلال الجدول أن نسبة كبيرة من المبحوثات تعرضن للوصم الاجتماعي من قبل أحد الأبوين البديلين،فمن المفروض أن هذه الأسر تعمل على التنشئة السوية لهؤلاء المكفولين،وتمدهم بالعطف والرعاية،ولكن العكس هو الذي حدث،حيث أكدت تصريحات المبحوثات أنهن تعرضن إلى مختلف أنواع السب والشتم والنظرة الدونية من قبل الأبوين البديلين،حيث كانوا ينعتونهن بمختلف النعوت مثل "الفرخة،"ملقطة "وغيرها من النعوت القبيحة التي تحطم نفسية الموصوم بها،وكان غالبا ما يحصل ذلك مرافقا للضرب،وهذا ربما راجع إلى تغير نظرة الأسر الكفيلة لهؤلاء الأطفال غير الشرعيين حيث أنهن في صغرهن كان تطغى عليهن ملامح البراءة وكان الآباء متشوقين إلى تربية هؤلاء الأطفال ولكن حين بلوغهن سن المراهقة وما صاحب ذلك من تغيرات في المزاج والسلوكيات،حيث أصبحوا أكثر إثارة للمشاكل وعدم الانصياع للأوامر،وهو ما جعل هؤلاء الآباء يتصرفون بأكثر عنف وقسوة وتحقير لهؤلاء الأطفال غير الشرعيين، لأنهم لا تربطهم بهم رابطة الآباء بأبنائهم، وبالتالي يظهر احتقارهم لهؤلاء الأطفال أكثر حدة .

كما أن هناك من المبحوثات من تعرضن للوصم الاجتماعي من قبل الجيران خاصة الأقران خصوصا إذا علموا أن هؤلاء الأطفال غير شرعيين، كما أن العديد من الحالات اللواتي كن يعشن مع الأمهات البيولوجيات كن يوصمن بالسلوكيات المنحرفة لأمهاتهن، كما نجد كذلك من المبحوثات من تم وصمهن من قبل الأقارب الذين رفضوا تواجد هؤلاء المبحوثات في منازلهم ومخالطة أبنائهم.

الجدول 3: يوضح توزيع المبحوثات حسب ردة فعلهن من عملية الوصم الاجتماعي .

ردة الفعل	مظاهرها	نماذج من التصريحات	التكرار	النسبة المئوية
احتقار الآخرين واحتقار الذات	حقدها على من وصمها كرهها لحياتها الشعور بالدونية	ح1"كنت نكره هذه المرأة وزدت كرهتها كثر وكرهت هذه الدنيا" ح2"كي نشوف هذيك الخزرة من الناس نموت من الحشمة وما نقدرش نشوف في وجوهم" ح10"هذه الهدرة كنت كي نسمعها تجرحني بزاف"	06	%46.15
يجعلها عدوانية	سب من وصمها ضرب من وصمها	ح7"وليت رافدة الموس والي يخلط فيا نوريلو واش نذير فيه " ح11"الطفلة الي تعايرني نحلف فيها، وتشوف واش نذير فيها، نديرها رجليا" ح15"الي تجيب سيرة يما والا تعايرني نضربها "	04	%30.77
محاولة الانتحار	إيذاء الذات باستعمال خنجر	ح5"وعلاش يقولولي هكذا .. .كي رجعت للدار ضربت روحي بدقة بالموس كنت حابة ننتحر"	01	%07.69
الهروب من المنزل	ترك المنزل والذهاب إلى صديقة	ح9"ماقدرتش نعيش في هذيك المعيشة تتاع الذل وخرجت من الدار" ح13"يسبوا فيا بكل كلام وأنا ما حملتش هذيك المعيشة تتاع الذل ورحت للدار نتاع وحدة حبيبتي "	02	%15.38
المجموع			*13	%100

* نفس ملاحظة الجدول رقم (2)

نلاحظ من خلال الجدول أن أعلى نسبة تمثلت في 46.15% من المبحوثات اللواتي تعرضن للوصم كانت ردة فعلهن احتقار الآخرين واحتقار الذات، تليها في المرتبة الثانية نسبة 30.77% من المبحوثات كانت ردة فعلهن هي الرد بعدوانية وعنف على من وصمهن، أما في المرتبة الثالثة نجد نسبة 15.38% من المبحوثات جعلهن الوصم يهربن من المنزل، في حين نجد في المرتبة الرابعة نسبة 07.69 % وهي تمثل حالة واحدة حاولت الانتحار بسبب الوصم.

نستنتج من خلال هذا الجدول أن لعملية الوصم تأثير سلبي على نفسية وسلوكيات المبحوثات، حيث أن نسبة معتبرة منهن كان ردة فعلها اتجاه الوصم هي احتقار وكره من وصمها، وكذلك كرهها لنفسها، وهو موقف انطوائي انسحابي، حيث لا تقوم المبحوثة بمواجهة مصدر الوصم بل تستسلم له، وهذا راجع لطبيعة التكوين النفسي لهؤلاء الإناث، حيث لا تستطيع العديد منهن مواجهة من وصمهن، خصوصا إذا كان من الأبوين البديلين، لأنهن لا يملكن مكانا يذهبن إليه، ولذلك يفضلن السكوت على المواجهة.

في حين نجد أن هناك من المبحوثات من تكون ردة فعلهن على الوصم عدوانية، حيث تقمن بالرد على الفرد أو الأفراد الذين قاموا بوصمهن بالسب وحتى الضرب، ونجد ذلك منتشر أكثر عند المبحوثات اللواتي نشأن مع أحد الأبوين البديلين، لأن البيئة القاسية التي نشأن فيها جعلتهن أكثر عدوانية وعنفا وخشونة في التصرف مع من يؤذيهن.

كما نجد كذلك وبدرجة أقل من المبحوثات من كانت ردة فعلهن على الوصم هي الهروب من المنزل أو محاولة الانتحار، وهي تعبير عن محاولتهن التخلص من مصدر الوصم إما بالابتعاد عنه وذلك بالهروب من المنزل، أو وضع حد للحياة وذلك بالانتحار.

تجدر الإشارة إلى أن الوصم الاجتماعي للمبحوثات ساهم بشكل كبير في مخالطتهن لرفاق منحرفين لأنهم وجدوا فيهم سندا ودعما لهم، ولقد أشار الباحث " فريدريك تراشر، **Frederick Treshr** 1936" في دراسة حول عصابة الأحداث في شيكاغو، أن نظرة المجتمع لهؤلاء الأفراد تتسم بالازدراء والاحتقار مما يؤدي إلى إحساسهم بالعزلة والكراهية لكل أفراد المجتمع، فهذه الدراسة لفتت النظر إلى نتائج الوصم الرسمي، لأن الفرد الذي يتعرض للوصم الرسمي يعيش حالة من العزلة والرفض الاجتماعي، وعدم الاستقرار، يدفعه إلى تبني ثقافة فرعية تمنحه التبرير للانخراط في العمل الإجرامي، هروبا من حياة العزلة التي فرضت عليه بسبب هذه الوصمة[20].

5- نتائج الدراسة

بينت الدراسة التحليلية للحالات (17) السابقة العرض أنه هناك ثلاث عشرة(13) حالة تؤكد صحة ما جاء به محتوى هذه الفرضية وهي الحالات : (1)، (2)،(3)، (4) (5)، (7)، (8)، (9) ، (10)،(11) (13) (14)، (15).

ما يعادل **(17/13)** بنسبة مئوية تقدر بـــ **76،47%** من مجموع حالات الدراسة. فأغلبية الحالات عانت من مختلف أشكال الوصم، من نعوت ونظرة دونية، ونبذ وتهميش وإقصاء من قبل أفراد المجتمع المحيطين بالمبحوثات.

وعليه، نستنتج من خلال تحليل الحالات الثلاث عشرة، التي أكدت صحت الفرضية القائلة:" يساهم الوصم الاجتماعي للأطفال غير الشرعيين في قيامهم بسلوكيات منحرفة"، مايلي:

1. أن عملية الوصم التي تعرضت لها المبحوثات من قبل الأفراد المحيطين بهن كان لها الأثر البالغ على نفسيتهن حيث كن يشعرن بالإغراب والتهميش والإقصاء، وتنوعت الأطراف التي قامت بالوصم ويمكن تقسيمها على العموم إلى الفئات التالية:

- بالنسبة للمبحوثات اللواتي نشأن في أسر بديلة فإن الوصم كان غالبا ما يكون من قبل أحد أفراد الأسرة البديلة وخاصة من قبل الأب البديل لضعف رغبته في الكفالة.

- بالنسبة للمبحوثات اللواتي نشأن مع الأم البيولوجية، كن يتعرضن للوصم من قبل الأفراد المحيطين بهن، خاصة البنات في مثل سنهن، وذلك بمعايرتهن بسلوكيات أمهاتهن المنحرفة خاصة أن جميع الأمهات البيولوجيات كن يمارسن الدعارة، وكان ذلك معروفا عند الأفراد المحيطين بهن.

2. أدت عملية وصم المبحوثات بشعورهن بالإحباط، فتنوعت ردود فعلهن من عملية الوصم الاجتماعي لهن، فأغلب المبحوثات اللواتي نشأن في الأسر البديلة كانوا يفرون من المنزل، في حين كانت ردة فعل أغلب المبحوثات اللواتي نشأن مع الأم البيولوجية هي استعمال العنف مع الأفراد الذين قاموا بوصمهن وهذا ما أشارت إليه "نظرية الإحباط " للعالم " **جون دولار Dollard** " حيث اعتبر أن العدوان استجابة فطرية للإحباط تزداد شدته، وتقوى حدته كلما زاد الإحباط وتكرر حدوثه، كذلك ذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن الفرد عندما يتم تعرضه للإحباط، وتكون كل المخارج الممكنة للعدوان مسدودة سدا منيعا تماما، فإن العدوان قد يستدير ليتجه نحو الذات في صورة كراهية للذات أو نقد للذات أو انتحارا.

3. إن شدة الإحباط تعمل على دفع الفرد المحبط إلى الانتقام من الموضوع المحبط إما في البيت كالأولياء إذا كانوا سببا في الإحباط، أو المدرسة إذا كان مثلا الزملاء، وإذا ووجه الفرد المحبط بموانع فإنه سيوجه العدوان والانتقام نحو ذاته، وذلك إما باللجوء (كما لاحظنا عند البعض) لحرق بعض الأماكن من جسده باستعمال السجائر، أو الوشم المفرط، حتى الوصول إلى درجة الانتحار، وهو أخر حل يلجؤون إليه[21].

4. يوجد العديد من الاستجابات نتيجة للإحباطات، وليس بالضرورة أن تكون على شكل تعدي على الآخرين، بل يمكن أن تكون الاستجابة اغتراب وانطواء على الذات، اكتئاب وتهميش للنفس كما أكده"ميلر **Miller**" [22].

5.عموما تركت عملية الوصم أثر سلبي على نفسية أغلب المبحوثات، وجعلتهن أكثر نبذا للمجتمع وللأفراد المحيطين بهن، بل وصل الأمر ببعض المبحوثات إلى محاولة الانتحار كتعبير عن رفضهن لواقعهن.

6- خاتمة

يساهم بعض أفراد المجتمع في دفع الأطفال غير الشرعيين للانحراف، من خلال نظرتهم الدونية اتجاههم، ووصمهم بمختلف النعوت القبيحة التي تدل على احتقارهم لهم،مما يتسبب في تكوين الحقد والكراهية في نفوس هذه الفئة،التي بتكرار هذه الأفعال تجاهها سوف تتمرد على قيم ومعايير المجتمع الذي تعيش فيه وتتخذ من العنف وسيلة لمخاطبة أفراد المجتمع،وقد يتجسد ذلك في إيذاء الآخرين خصوصا الواصمين أو سرقة أو تحطـيم ممتلكاتهم،كما قد ينتج عن هذا التهميش إيذاء الأطفال غير الشرعيين لأنفسهم،من خلال محاولة الانتحار،أو تشويه أجسادهم بإحداث جروح فيها ،و يعد كل ذلك تعبير عن رفضهم لواقعهم المعاش.

يمكن لوسائل الإعلام المختلف والمجتمع المدني المساهمة في نشر وعي اجتماعي بين أفراد المجتمع،حول ظاهرة الأطفال غير الشرعيين،وذلك من خلال إظهار واقع هذه الشريحة في المجتمع، ووجوب تفهم أوضاعهم، وتقديم المساعدة لهم، على الأقل عدم احتقارهم أو وصمهم بنعوت قبيحة،لأن ذلك سيجعلهم أكثر حقدا وعدوانية تجاه أفراد المجتمع .

الهوامـش

1. السيد عبد الحميد عطية، الخدمة الاجتماعية ومجالات تطبيقها، القاهرة، المكتب الجامعي الحديث، 1988، ص 246.

2. محمد طلعت عيسى وآخرون، الرعاية الاجتماعية الأحداث المنحرفين، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة 1998، ص 18.

3. جلال الدين عبد الخالق، الجريمة والانحراف الحدود والمعالجة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية 1999، ص 15 .

4. عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995، ص 441.

5. سامية جابر محمد، الفكر الاجتماعي نشأته واتجاهاته، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1989، ص187.

6. مصطفى كاره، مقدمة في الانحراف الاجتماعي، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1992، ص219.

7. جابر عبد الحميد، علم النفس البيئي، القاهرة، دار النهضة العربية، 1990، ص187.

8. نفس المرجع، ص 188.

9. عايد عواد الوريكات، نظريات علم الجريمة، ط2، عمان، دار وائل للنشر، 2013، ص194.

10. نفس المرجع، ص197.

11. عبد الله عبد الغني غانم، علم الاجتماع الجنائي الإسلامي، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1994، ص130.

12. عدنان الدوري، "أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي"، ط3، الكويت، منشورات ذات السلاسل، 1984، ص 26.

13. جمال معتوق، مدخل إلى علم الاجتماع الجنائي، الجزائر، دار بن مرابط. 2008، ص 260 -261 .

14. محمد خليفة بركات، مناهج البحث العلمي، الكويت، دار العلم، 1984، ص 17.

15. بوحوش عمار والذنيبات محمد، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1995، ص 139.

16. سبعون سعيد وجرادي حفصة، الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2012، ص 173 .

17. غريب محمد سيد، تقسيم وتنفيذ البحث الاجتماعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1993 ص121.

18. معن خليل عمر، مناهج البحث في علم الاجتماع، عمان، دار الشروق، 1997، ص 208.

19. جمال معتوق، مدخل إلى سوسيولوجيا العنف، الجزائر، دار بن مرابط، 2011، ص 178.

20. محمد الجوهري، دراسة المشكلات الإجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1993، ص287.

21. جمال معتوق، مدخل إلى سوسيولوجيا العنف، مرجع سابق، ص 223.

22. نفس المرجع، ص 226.